

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤن الحكمة فلا
أوني خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الابواب

المسائل

١٣١٥

فهر عادي الذين يستنون القول فينبون أسئلة
أوتك الذين هدامم الله وأوتك هم أولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى « ومانارا » كمنار الطريق
مصر ٣٠ جادى الاول ١٣٣٩ - ١٩ (ش ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ فبراير ١٩٢١

وَسَائِلُ الْمَسْأَلِينَ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يسم الناس عامة، ونشترط
على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى
اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب
غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا
غير مشترك لئلا هذا ، ولعن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة
واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغثاله

حقيقة التصوف ومكانه من الشرع

(من ٣) من صاحب الامضاء

السلام عليكم ورحمة الله

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

وقم نظري هل بعض الاعمال الديفية في بلدي المسمى بالسبلارين مما من

أجله أرجو أن تعرفونا حقيقة التصوف وهل له فوائن ونواميس غير ما بينته الشريعة
المحمدية . وإذا كان هو ما جاءت به الخبيثة فما الحاجة إليه والقرآن والسنة بين يديه
وان كان مخالفاً فمن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المتعرج تلك الطرق
التي توصل إلى الله (كما يبرون) وامرني إن صح هذا كان لله طريقان طريق
بينه على لسان رسوله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى إليه بعض المهتدين
وأما دعائي إلى - والكم والامتارة - فإنكم ما أخشاه من كسوف شمس شريفنا
في ذلك الأفق (أفق الصوفية) فإني أرى من يسيرون إليه يدعونهم قد ولعوا بمقتضياته
وشغفوا بها حتى أنسهم الأذكار والأوراد التي يتفنون بها في الساحات والأندية
ومباغاتهم في الشيوخ والأولياء اناسم ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد)
وهذا طبق ما أراه غريزة في بعض النفوس من الشغف بالكلمات وربما صعبت ذبول
النوران على الواجبات فحاشا منها لأصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا إلى أن
وجب عليهم ما ندب إليه الدين ، وزجا منها بهم إلى زمرة المقربين الذين امتثلوا وأمضوا
أوامر الدين

وان - سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم إعادته باختصار وذلك كما تلهون اقرب
محمدنا بالانار لازائم مصادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

مدرسة القضاء الشرعي

[المزار] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفياً أي أجد أفراد
الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الأقوال في المنسوب إليه أنه الصوف لانهم كانوا
يلتزمون لبسه وقيل انه كلمة سوقاً أو صوفي اليونانية ومناها الحكمة وذهب المحافظ
ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس أنه نسبة إلى صوفة وهو لقب الفرس بن مر بن اد
ابن طابغة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر عند العرب أنه أول من انقطع إلى الله تعالى
لعبادته عند بينه الحرام ، وتسلسل ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل
منهم وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة ومنى وهي الافاضة
منهما فكانت لا تفيض منهما حتى يفيض صوفة فاذا حانت الاجازة تقول

« أنبيري صوفة » وكان سبب هذه التسمية ان أم الفوث كان لا يعيش لها ولد فذرت لثن عاش لتطفن برأسه صوفة وتجمله ريط الكعبة، ففعلت فقيل له ثم لولده من بعده صوفة - نقله عن السائب الكلابي

قال الحافظ المذكور: كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) الى الاسلام والايمان فيقال مسلم وهو من ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة نفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي لخصناها عنه آنفا . ثم قال في تاريخه ومبدأه : هذا الاسم ظهر لأول مرة قبل سنة مئتين ، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بباركات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخلال الحسنة. ثم ذكر أن أوائلهم كانوا على ذلك حتى ليس عليهم الشيطان فكان أول تلبسه ان صدمهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطلقوا صباح العلم تخطوا في الظلمات فمنهم من خلا في ترك الدنيا وهي قوام مصالح الخلق ، ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والمرى والفقير الاختياري، ومنهم من غابت عليهم الخيالات ، حتى قولوا بالحلول والانحاده وكانوا يبنون بالنظافة والتنظم في الطهارة . وراجت عليهم لفة العلم الاحاديث الموضوعية . وذكر بعد هذا تصانيفهم وما فيها من الغلو في الدين والاحاديث الباطلة . ثم انتقل الى بيان ضروب الشيطان عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأثر وأطال في ذلك . وكتابه هذا جدير بأن يطبع

ولشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء نشرها في ج ١ م ١٢ من المنار ثم طبعناها في رسالة هل حدثت لتعميم فقهاء . وقد ضمت فيها القول بنسبتهم الى صوفة لانها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الاسلام رجع نسبتهم الى الصوف وقال ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقال ان أول ظهورهم كان في البصرة لانه كثر فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في صائر الامصار ولهذا

كان يقال فقه كوفي وعبادة بهيرية . وذكر بعض أحوال الصوفية ووزنها بميزان
 الشرع وسيرة السلف الصالح كما دته فبين الراجح من الشائل فيها وان الناس فيهم
 بين ذام يرميهم بالابتداع والخروج عن السنة وبين غال بدعي انهم أفضل انطلق
 بعد الانبياء ، وان الصواب هو الوسط وهو انهم كفبرهم من الطوائف بمحتسبون فمنهم
 ظالم لنفسه ومنهم مفهصد ومنهم سابق بالخبرات باذن الله ، ولكن انساب اليهم طوائف
 من أهل البدع والزندقة ، ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث
 بدهم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الخوانك وبأكون فيها ما وقف
 على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همم تقليد في اللباس والآداب الوضعية ،
 ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى وبقراها ، وبقراً ما كتبه ابن خلدون في
 مقدمته ان لم يكن قرأه فان أكثره صواب

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاسناد الامام عيون ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان
 حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ
 أجملناها في ورقين مثل أوراق المنار لمغصها ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد
 في الدنيا والعمل للأخرة برياضة النفس وتربية الارادة والأخذ بالمعزائم ومحاسبة
 النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكال
 المعرفة بالله تعالى . ثم ادعى حالمهم من ليس منهم فشا وتليبا ، ولبس لباسهم من
 تناقض حاله حالمهم دعوى وتقليدا — وان رياضة النفس وتزكيتها تهر للصادق فيها
 علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأسرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة
 ولا معروفة لغبر أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور الكون كشفه
 مريض وتغير من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها)
 معرفة بعض الأمور من غير طريق الحس أو الفكر وهو ما يسمونه المكشف (ومنها)
 النوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعللها الخ
 ومنها غير ذلك مما لا ساحة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق المسلمين اليه قدماء الهند والصينيين
 واليونان ، وقد سرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

وشماثرهم وشاراتهم (كالمسح والاعلام) حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم . وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعدلآيات والاحاديث وطاعة الاذهان لكل ما يأمر به السالكين شيوعهم وان كان منكرًا وعدم الإنكار عليهم في شيء . وكانت الباطنية تقصد بهذا التعاليم افساد دين الاسلام وابطاله وازالة ملكه بالصفات التي وضعها هبند الله ابن سبأ اليهودي وجميات المجرس السرية التي بثت في المسلمين دهوة الفلج في التشيع لآل البيت والطمر في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي اتمكن تلك الجميات بذلك من اعادة ملك المجرس وسلطان دينهم الا الذين أزالها العرب بالاسلام . ولولا هذان الاصلان - التأويل والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لان اصل طريقها تزكية النفس بالملم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والاخذ بالمعزائم ومحاسبة النفس حتى على انطاوطرء ومن المأثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف فهو من قواعد الاسلام المنصوصة المعلومه منه بالضرورة انه ولاطاعة في معصية أما الطاعة في المعروف وهذا اللفظ من حديث عوف في الصحابين وفبرهما عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لـوله (ص) في آية المبايمة (ولا يعصينك في معروف)

ثم بينا هنالك أنه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولاً وردابعد يبان أن الضلالات والبدع المتغلطة في كتب الصوفية قسبان - ما أخذها الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للنه والشرع - وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الاوراد والشعائر الدينية المخالفة لسنة في ذاتها وأصلها أو في صفتها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط - فترى مثل النزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والنه يرغب (المنار ج ٣) (٢٣) (المجلد الثاني والعشرون)

في بعض العبادات المبتدعة مستدلاً عليها بهذه الأحاديث الروائية أو الموضوعية
دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما الخزالي
في الأحياء مستدلاً عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي
في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ولم يكن
النووي أعلم بفقهاء الشافعي من الخزالي بل قال بعض العلماء ان كتب الشيخين الرافعي
والنووي مأخوذة من كتبه التي حرر بها المذهب كما قال فيه وفيها بمضمون :

حرر المذهب حبر أحسن الله خلاصه
بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الخزالي لم يتوسع في علم السنة الا
في آخر عمره (ونصت الخاتمة التي وفقه الله لها بحسن نيته واخلاصه له الدين)
ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . وما أخذوا فيه بالضعيف الراهي — وهو
أكثر — دعاه الوضوء قال في منهاجه : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو
يعني الدعاء الذي ذكره الرافعي تبعاً للخزالي . واعتذر الشمس الرملي شارح منهاجه
عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضراً لما ورد فيه من
حديث ضعيف ورد من طرق والضعيف يميل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه
فيما له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنة — هذا ما أذكره عنه
بالمضى وذكر أن والده الشهاب الرملي اعتد دعاء الوضوء — وأقول ان النووي
نفي ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار
وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي من طرق منها عن أنس رواه
ابن حبان في ترجمة مجاهد بن صهيب، وقد قال أبو داود انه صدوق قدرى وقال أحمد
ما كان بها كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه الا هذا البش
الحلال ولكن بقية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المهاجرين عن المهاجرين حتى
يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . ووافق منها
هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروى عن حميد عن أنس
بغير طویل في الذكر على الوضوء باطل الخ

أقتصر على هذين الشاهدين من لاحد بالأحاديث الموضوعية والواهبية انصرف
 الفقهاء فيهما وهم الذين يمول الجمهور على كلامهم ويرجعونه على كلام سائر العلماء فيما اختلفوا
 فيه لانهم هم الذين اتدبروا لتحرير فقه الأئمة الذين يدهي الناس تقليدهم وكانت
 الحكام تحكم بما دونوه في كتبهم ولا تقبل الفتوى الا منها حتى صار جماهير المتسبين الى
 طرف الصوفية يبنون هؤلاء الفقهاء وان كان الصوفي الحقيقي - وهو العارف بر به العالم
 بدينه العامل به - لا يقلد احدا . وقد احتكر الفقهاء لانفسهم حق ترجيح أقوالهم على
 أقوال المفسرين والمحدثين ، بله الصوفية والتكلمين ، كما صرح به ابن حجر الهيثمي
 في الفتاوى الحديثية . وكان الصواب أن يحكم علماء الآثار من التفسير والحديث
 وصحة سلف الأمة في كل خلاف وتنازع يقع بين المسلمين ليعينوا لهم حكم الله
 ورسوله فيه عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولا خلاف بين أحد من العلماء
 في معنى هذا الرد بل هم متفقون على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول
 بعد وفاته هو الرد الى سنته . وعلماء الآثار هم المختصون بعلم ما صح في التفسير ومن سنة
 الرسول (ص) وسيرة السلف وكثيرا ما يأخذ الفقهاء بما لا يصح من الأحاديث وقد يحكمون
 بالقياس مع وجود النص بل يأخذون بأقوال المصنفين المنتهين الى مذاهبهم وإن لم يعرفوا
 لها دليلا ولا نصا من كلام أئمتهم المجتهدين ولا سيما المتأخرين منهم وقد عملوا الله شغلين
 بكتيبهم سلاحا يحاربون به نصوص الكتاب والسنة اعتذارا بالتقليد فكل كتاب ينتمي
 مصنفه الى مذاهبهم يحتج به عندهم ويميل بما فيه ولكن لا يجوز الاعتداء عندهم
 بالكتاب ولا بالسنة الا من هداه الله ووقفه يوم تفضل أمة من أمم الرسل عن دينها أبدا
 من ضلال هؤلاء ولولا حفظ الله لكتابه وترقيقه الحفاظ لتدوين السنة لتفتر الاصلاح
 ومعرفة حقيقة الاسلام . وقد سبق لنا بيان هذا مرارا كثيرة آخرها ما بعطناه في
 الكلام على فتوى شيخ الازهر في انكار بعض البدع وما فصلناه في الفتوى الاولى
 والثانية من جزئي المنار الذين قبل هذا

وجهة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر اصناف علماء المسلمين الذين
 استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسم في

علم فجاء فيه بما لم يجبي به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الاخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة واسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها - وهذا غرض الدين ومقصده فان كانوا قد فعلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السالفة ومن البدع ما ينكره الاساطم قائمكاهون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع الخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاخذ بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا العصر من المتحليين لطرق الصوفية فهو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمكالمين فلو صلح حال المشتغلين بعلم الفقه لا يمكنهم إصلاح أهل الطريق ، وأتى بصالح غيره من لم يصالح نفسه ، وأتى بصالح نفسه أو غيره من أخذ علم الدين حرفة الارتراق به فهو بخدم ويطيع من يمتدأ أو يقطن أو يتوهم أن أمر رزقه بيده ولو فجا يضر ملته وأمته ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتابات شبه القوانين أكثر مما فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبمضها بدع تناصق به الصالحا بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلها من مخالفة الكتاب والسنة فيما لم كتاب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فجوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي نبتت الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وإثباتها بالادلة النظرية الفنية التي كانت ألوفة بانشار كتب الفللفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد - وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في العبادات والمعاملات لايضاح ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته بيمضها - كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأديب والآداب المنصوصة فيهما أو المستنبطة منهما والمفصلة لما فيها من الاجمال . وقد قلنا آفا إن واقع في كتب الصوفية من الخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيريتهم وقع مثله في

كتب المتكلمين والفقهاء . يعلم ذلك من كتب السنة ومن الكتب التي يرد فيها كل منهم على الآخر، والفقهاء المقلدون يوجبون طاعة شيوخهم الذين اتزمو تقليد مذاهبهم ويجهلون كلامهم أصلا في الدين يردون به نصوص الكتاب والسنة بأدبيل أو غير تأدبيل كما يوجب المتصوفة طاعة شيوخهم المسلمين ويؤلون ما خالفوا فيه الشرع ولكن لا يقولون انه اصل في الدين يجب على الناس اتباعه شرعا بل شبهة هذه الطاعة عندهم ان التربية المرادة من صلوك الطريقة تنوقف على هذه الطاعة موقتا لاداءها وأن كلامهم في الحقائق زهوزلا يفهمها غيرهم

وقد ذكر المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة بأبعا لاقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الاقوال بالاقضية أو بجعل التشابه أصلا للمحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الاصولية ومنها ما احتجوا له بمباراة من حديث صحيح يردون باقية المخالف للمذهب وهذا من عجيب أمرهم كما قال وقد أورد له ستة وستين شاهدا في الوجه التاسع عشر من وجوه الرد على المقلدين التي بلغت ٨١ وجها فليراجعها السائل ومن شاء في الفصل المقود للكلام في القياس والتقليد من الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل .

ثم انه عقد بمد هذا الفصل فصلا آخر في رد تحريم الأفتاء والحكم في دين الله بما يخالف التصوف وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص وذكر اجماع الفقهاء على ذلك » وقد أورد في هذا الفصل ٧٧ مثلا لرد أهل المذاهب السنة الصحيحة الصريحة المحكمة بالقياس أو بنفي الصحيح أو بالتشابه ، وقد ذكر في الوجه الثامن منها بعض شبهاتهم ورد عليها بأثبات وخمين وجها كلها شواهد تؤيد ما ذكرناه

فاذا كان الامر كذلك فلماذا يخشى السائل كسوف شمس الشريعة في أفق الصوفية دون غيرهم وهو يعلم أن المنتحلين اطرق التصوف والمنتحلين لمذاهب الفقه لا تزبيل بينهم ولا تميز - فلا هؤلاء على هدي أئمة الفقه من هلاء السلف كما كانت والشافعي ، ولا ذلك على هدي أئمة التصوف كالجنيد والشبلي وأمثالهم من جبال السلف . فالحق أن جميع الفرق لها حسنات وسننات (أئمة من الاولين وقبل من الآخرين)

وأكثر مسلمي هذا العصر ضعفاء في الدين علما وعملا ولا سيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقم الحدود وتلتزم الشرع ، والبلاد ذات الحكومة الاسلامية هلي قلها بعضها شديدة التعصب المذهب معين كالبلاد الافغانية المتعصبة لمذهب الحنفية وحكومة اليمن المتعصبة لمذهب الزيدية فمذان لا يرجي أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستحالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذلك - وبمضيا شديد الغلو في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لانعرفها ابلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وان كانوا متمسكين الى المذهب الامام أحدهم لا تعرف جماعة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل ما ثبت في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتدهو اليه وترد ما خالفه وان قاله أو كتبه حنبلي . ثم هم ، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال وهم من يكفرهم كما يرمون بذلك من يدعو الى الكتاب والسنة من الافراد . وأي بلاء أشد على الاسلام من هذا ؟ واذا قبض الله لهذه البلاد أن يسمع فيها العلم فانما يحوي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم تجد في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ . قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غربياً وسيهود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس ، وروي مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً « ان الاسلام بدأ غربياً وسيهود كما بدأ وبأرض بين المسجدين كما تآرز الحية في جحرها » وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يصاحون ما أفسد الناس بهدي من سني » رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاد الاسلام غربياً كما بدأ حتى صار المسلم الحق المهبط لسنة قريباً مطعوناً في دينه ، فاذا قوري هؤلاء الغرباء الذين يحبون ما أمات الناس من سنته (ص) واعترضوا بعد ضمهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدئه فان غربته تستنجع المجد والعزة لله ولرسوله ولأمة المؤمنين آخر كما استنبهته أولاً

لأنحاء السبب

ان العالم الاسلامي لبث من ضعف دينه وامتهان شموبه بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال سادته وكبرائه والمنتحلين اعلم الدين ومن جهل أكثرهم بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقمودهم عنها حتى امتهنوا وسقطوا من مكانهم الاجتماعية

دلم يروق بأيديهم من مصطلح لامة شئ يعتد به ل وطنوا أنفسهم في بعض البلاد على الحرمان منها ورضوا بعدم مشاركة غيرهم حتى نالوا فيها - وأنه سيضطرون للازهر وأما لهم من معصي سائر الافطار الى اصلاح الذي كانوا يأمرونه وأما اضطرتهم الى ذلك باحتقاره لما هم عليه اليوم اذ قرب ان يزول ما كانوا يعتزون به من اتباع السواد الاعظم من الامم لم تقبلهم لا يدعهم وموااتهم بالهدايا والصدقات والوصايا، فهذا اذا قام فيهم مصطلح كالسيد الافندي الحكيم والاشناذ الامام هموا في آذان هؤلاء العوام : هذا منزلنا هذا فيا سوف هذا كافر بر بد أن يفسد عليكم دينكم ، فخافوا على تقاليدكم وموالدكم وامتنعتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع النقم وحفظ النعم - التي جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زل الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من أكابر الشيوخ الذين تولوا منصب الافتاء مثله وتولوا ما لم يتول من مشيخة الازهر - اضطرب القطار المصري واهتز العالم الاسلامي كله اوت الاستاذ الامام باشد مما اضطربت بيوت أولئك الشيوخ لموتهم الذي لا يكاد يشعر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم وبيوتهم وكان يعيش لامة وملته

سبقت الهند مصر وسورية والحجاز في احياء السنة على وعملا وقد تمهدت العقبات امام مصر وبتت طلائع الاصلاح في نابذة الازهر ولكن الحركة فيه لا تزال بطيئة ولا تسرع بها الا صدمات المماضة والمقاومة لها وحينئذ نجد من طلاب الاصلاح الديني والديني أهوانا وأنصارا تخرجها ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الاصلاح الاسلامي الديني المدني وبفاهر صدق قولنا في المقصورة بعد التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الازهر

فان يك الازهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبل من كان مأى (١)

ونبتت من غرسه نابذة سلام السدع وتراب الثأى

وترفه لحة عن المهد أو بمود جهر الصبح كما كنا (٢)

(١) مأى بالغوتعمق أي بعد عن طرق المناظر بين المنتظمين المتعمقين في مباحث

عبارات الكتب (٢) أي الى أن يعود جحر القصب الذي دخلوا فيه باتباع سنن =

إذا ينال وهو قد أشفى الشفا من مفضل بات به على شما
 نمت ولي المصلحون شطره يحونه من كل فحج ورجا
 ماوردوا حياضه وصدروا الا يفيضون علوما وهدى
 فاحبوا الاسلام في انفس من داناهم بهجره صرف الردي
 فماد أهلا الى موطنه من فرقة طال بها عهد النوى
 واستثبت غربته المجد كما كان فماد الامر مثلها بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خالف التصوفة هو من
 قبيل ترقع الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديد يكون سر بها اذا
 أيده حكومة اسلامية وبطيا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد. وانما يكون
 التجديد بالتمارف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تغلوا
 من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قطار الا وفيه أفراد منها ففي حديث
 مؤيد بان في الصحابين وكتب السنن لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق
 لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وفي معناه أحاديث أخرى
 وأهم القواعد التي يجب بناء الاصلاح عليها هي

(١) الاعتراف باسلام كل مدعى لا أجمع عليه المسلمون من أمر الدين

(٢) بث دهوة لعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السات
 الصالح فيها كما أشبهه علماء الحديث بالاسانيد المتمددة وترك ما خالفه من أنظار
 المتكلمين وآراء الفقهاء ولا يزيد في أمور العبادات والخلال والحرام على ذلك ولا
 نقص منه ، وقد بنا حجج هذه المسألة مرارا ، وليس معنى هذا ان يكون المرتدي
 بذلك اماما مجتهدا بل ان يكون على بصيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم
 وخواصهم مع الاستعانة على فهم النصوص بما فسرها به العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نمار كل متبع لمام
 من أئمة السلف المتقدمين في حكمهم من الاحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي
 من قبلهم واسما بسهولة الحنيفة السمجة، اشارة الى حديث ابي سعيد الخدري
 المتفق عليه « لتبين سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
 تبعهم يوم » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « حتى لو دخلوا في حجر ضب لتبعتموم »

والصادق والباقر رآة فقها . لامصار كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد ، وعلاء الصحابة والتابعين بالاولى . ولا تكفر مسامحا مدعيا بذنب ولا بدنة ارتكبا بجهل أو بشبهة اتباع امام أو بتأول . رمتي زال التمهيب تكون الماظرة بين المختلفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الادب والاحترام واتقوا الشقاق والتفرق بين المسلمين ، ويتبع دعاة الاصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . يعني النبي (ص) فلا يتعمدون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا لجماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا عامه فلا مندوحة من اتباعه وما اختلفوا فيه يرجع فيه ما كان دليله أقوى والآخذون به من التابعين وسائر علماء السلف أكثر فانه قلما يسلم عالم يحتمد من شذوذ يتفرد به دون الجماعة فيعذر باجتهاده ولا يتبع فيه وامانا نكتب في فرصة أخرى مقالا في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحا لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى .

(٤) الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدنيوي مع تحصيل العلوم والفنون التي ترقى بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية فان هذا مفوض اليانا بتلك الهداية التي نصت على أن الله خالق لنا ما في الارض جميعا وامرنا بأن نمد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة . وقل رسوانا صلى الله عليه وسلم دائما انا بشر مثلكم اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأينا فانما آنا بشره وقال « انتم اعلم بامر دينكم » رواها مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المدار مرارا بل كل المدار في جهته وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامي المبني على اساس اتباع جمهور السلف الصالح في امور الدين رواية وذراية وعملا بلا زيادة ولا نقص . وباليانا نبأغ مدآ اخدم أو نصيفه . واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختبار في امور الدنيا مطلعين لاجتم ادانا المنان فيه . وهذا اتباع للسلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضا كما يعرف من - برتهم في فتح البلاد وانشاء الدواوين ونهضة الامم - روند بين مهم واقفون وانعمل بها . وهو مذهب امام دارالهميرة مالك ابن انس ثم بينه شاطبي في اشخاص وغيره (ومن يتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ شرح قاعدة لا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ﴾

٢

تتمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم ينبغي على الآخر فيكفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان اهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه ما منهم الا من تخالف حقاً واتبع باطلاً ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم إليه) وقال في الآية الاخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً بما تميلون عليه وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتبها اتباع كل قوم كتاباً مبتدعاً غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الاخرى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مسيين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) فنهاه أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأعاد حرف «من» ليبين أن الثاني بدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام وما قبله توكيد له وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لتمضي بينهم - الى قوله - ولولا ان ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن صل الرحمة لا يختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن ابراهيم
 (اذ قال ربه أسلم قال أسلمت لب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
 يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال يوسف (فاطر
 السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)
 (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن
 السحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس (رب اني ظلمت
 نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (بحكم بها النبيون الذين أسلموا
 للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذا أوحيت الى الخواريزم ان آمنوا
 بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال « انا معاشر الانبياء ديننا واحد » وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون
 الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي بمت الله به محمداً صلى الله عليه وسلم
 فانه هو دين الاسلام أولاً وآخراً، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم
 سارت القبلة الكعبة ، وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا
 سائر ما شرع للانبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً
 وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
 السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (اهدنا الصراط المستقيم » صراط الذي نعمت
 عليهم غير المفضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (اجتنبوا وهدانا الى صراط مستقيم)
 وقوله (ويهديك صراطاً مستقيماً) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الضلالت
 الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الضلالت)
 وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيّد الذي
 قيل فيه (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) فهذا قد بين أنه اختلاف
 بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت
 في الصحيح انها نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عميه والمشركين الذين بارزوهم عتبة وشيبة
 والوليد بن عتبة

وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات المسلمين من سلا بجزءاً
 مثل كتاب المقالات لابي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني
 ولابي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما سنه أهل الكلام

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وأزل به كتابه وكان عليه سلف الأمة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا يوجد الحاذق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره بصرح بالحيرة والشك (١) إذا لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض وكثير منهم يترك الجميع ويرجع الى دين العامة الذي عليه المجازر والاعراب كما قال أبو المعالي وقت السياق: لقد خضت البحر الحضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي يرحمته فالويل لابن الجويني وها اذا أموت على عقيدة أمة . وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة وسلك ما تيسر له من طرق العبادة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث بالبخاري ومسلم ، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخير هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف بنهاية الاقدام في علم الكلام وقال: قد أشار على من اشارته غم، وطاعته حتم . ان اذكر له من مشكلات الاصول ، ما أشكل على ذوي العقول، ولعله استحسن ذاورم . ونفخ في غير ضرم،

لمعري لقد طقت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن تادم

فاخبر انه لم يجد الا سائراً شاكاً مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطاه فالاول في الجهل البسيط (كقضايا بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكديراها) وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهول فندم، ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجع شيئاً للحيرة، وكذلك الآمدي الغالب عليه الوقف في الحيرة . وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في الموضوع منه ينصرف ولا وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصرف بنفسه . ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك ، ولهذا لما ذكر ان أكمل العلوم العلم بالله (١) المنار: اي الشك في الترجيح بين المسئلة الكلامية والفلسفية لاني أصل الاسلام

وبصفااته وأفعاله ذكر على أن كلا منها اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشكل عليه وسلي هؤلاء في مواضع فإن الله قد أرسل رسوله بالحق وخلق عباده على الفطرة فمن كل فطرته بما أرسل الله به رسله وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعهم السمية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يهتدوا معه الى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا انه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل الى هذا الباب، ومن

الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية اقدم المقول عقلا وأكثر سمي المالمين ضلالا
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دينانا أذى ووبال
ولم نستفيد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق لطريقة القرآن - أقرأ في الاثبات (اليه بصمد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النفي (ليس كئله شيء وهو السميع البصير - ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهو صادق فيما أخبر به انه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وانه لم يجد فيها ما يشفي غليلا أو يروي غليلا، فان من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فان الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق لصحيح العقل وفنارة الله التي فطر عليها عباده. وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) وهم مختلفون في الكتاب (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة مستنفة الذم منه في عيبه في رد على الزنادقة

(١) المنازل كسب مستنفة الكتاب في المصيبة الاميرية: هكذا في الاصل بل في الكلام تقصا أو يحرر فااد وتقول لعل الاصل: ذكر أن كلا منها عايبه اشكال - أو - ذكر أن على كل منها اشكالا

والجهمية فيما شككت فيه من منشاها القرآن وتأولته على غير تأويله قال: « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموثق، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والسمى، فكم من فتيل لا يبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أفتح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخمدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم، وهو كما وصفهم رحمه الله فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام أما نقل مجرداً للأقوال وأما نقلاً ومجسداً ذكر اللجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بعضاً ويرد بعضاً ويحمل ما يوافق رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تفويضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

هذا ما أحيينا نقله من كلام شيخ الإسلام في هذا المقام وقد أطلال بعده في وصف المتكلمين وخلافهم وفضل الأشعري على غيره في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضاً. ونسب مذهب السلف بالاعتق والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا يهولئك نخشنة هذا الرجل لجميع أولئك الأساطين من الفلاسفة والنظار غروراً بشبهة الشيطان أنه لا يعقل أن يكون هو أعلم منهم أو أدكى حتى يكون أحق بالصواب وأولى بالرجل ليس صاحب مذهب مخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق واشتبه علينا الأمر حتى ترجح قوله على كل منها أو ترجح غيره عليه، بل هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالأدلة العقلية التي اتخذت بنظرياتها كل من شذ عنه قليلاً أو كثيراً، وأساس مذهبهم الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الأمة قبل افتتائها بالظريات التي فرقها بينهم. ونعمد الله أن سفر لها من هدم كل ما خالف السلف من تلك الظريات بأدلة من عندها هي أقوى منها وأثبت بالبرهان أن صريح المعقول لا يتناقض مع صريح المتقول. ويتبين عن اثبات أن هذا الدين من عند الله إذ لو كان من عند الرسول أو غيره لكان في باطن المتكلمين والفلاسفة

وكان المتأخر أسح رأيا فيه من المتقدم
وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين للساف من المنتسبين الى مذاهب
السنة والمبتدعة والفلاسفة في كتابه (واقعة سريح المعقول لصحيح المنقول)
وانني انقل منه هنا ما ختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديمهم
العقل على النقل عند التعارض وهو :

(تنفيذ ابن تيمية لقول المتكلمين بتقديم المنزليات العقلية على النصوص السمعية)
والمقصود هنا التنبيه على أنه لو سوغ لنا ظريفة أن يمرضوا عن كتاب الله تعالى
ويعارضوه بأرائهم ومقولاتهم لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به هلم ولا هدى
فإن الذين سلكوا هذه السبيل كلهم يخبرون عن نفسه بما يوجب حيرته وشكته والمسلمون
يشهدون عليه بذلك فثبت بشهادته وقبارة على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم
شهداء الله في الارض انه لم يفتخر من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه ييقن
بطسئ الله ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم مقولا
صريحا يناقض الكتاب قائلهم آخرون من ذوي المقولات فقالوا ان قول هؤلاء
معلوم بطلانه بهربح المعقول فسر وما يدعى معارضة للكتاب من المعقول ليس فيه
ما يحزم بأنه معقول صحيح اما بشهادة اصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم
ظهورا لا ريب فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المقولات لهم بل من تدبر
ما يعارضون به الشرع من العقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والناس
اذا تنازعوا في المعقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على أخرى بل يرجع في
ذلك الى الفطر السامية التي لم تنمير بانتمتد يغير فطرته ولا هوى فاستمع حينئذ أن
يعتمد على ما يعارض الكذب من الاقوال التي يسمونها مقولات وان كان ذلك قد
قاله طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل
فيعتمد على عقل نفسه وما وجده معارضا لاقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه
خالفه وقدم رأيه على نصوص الانبياء صحت الله وسلامه عليهم. ومعلوم أن هذا أكثر
ضلالا واضطرابا فاذا كان تحول النظر واساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر
الى الغاية وهم ليهم ونهارهم يكذبون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الى

مفتول صريح يناقض الكتاب بل اما الى حيرة وارتباب وازمالات الاختلاف بين الاحزاب فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في لذهن وانذكار ومعرفة اسلكوه من العقليات فهذا واه مثاله مما يبين ان من اعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه لم يمارضه الا بما هو جهل بسيط او جهل مركب فالاول (كمراب قيمة بحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسبه) وثاني (الحساب) والثاني (كظلمات في بحر لبي يفتشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكدرها ومن لم يجمل الله له نورا فما له من نور) واصحاب القرآن والايمان في نور على نور قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري بالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآيات وقال تعالى (فالذين آمنوا به وهزروه ونصره وانبىوا النور الذي انزل معه اولئك المفلحون) فاهل الجهل البسيط منهم اهل الشك والخبرة من هؤلاء المعاضين للكتاب المرضين عنه، واهل الجهل المركب ارباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون انها عقليات وآخرون ممن يمارضهم بقول مناقض لتلك الاقوال هو العقليات ومعلوم انه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما والمالب فساد كلا الاعتقادين لما فيهما من الاجمال والاشتباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقا وباطلا ومع هؤلاء حقا وباطلا والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي بحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله اعلم اه

[المنار] كل مؤمن سليم الفطرة صحيح العقل اذا قرأ هذا مجرم بأنه الحق، وانه يجب هل المسلمين أن لا يفتروا شهرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين خالفوا السلف فيما نقله شمس العلماء عنهم من أمر الدين، وانما انذار كل عالم في اجتهاده اذا ثبت من سيرته ادعاءه بالاجتهاد وان قصد تأييد الشرع ولكن لا تتبع أحدا فيها خالف هدي السلف السابقين والمؤمنين معتمدين على نقل شمس المحدثين دون آراء المخالفين . وهذا منهي فلا صلاح في الدين .